

الفصل الأول

حياة محمد المنصوري الغسيري وآثاره

1 - توطئة :

إننا إذا بحثنا وتصفحنا تاريخ الجزائر وجدناه مليئا بالانتصارات والبطولات كان بطلها في ساحة الوعي الشعب المفدى، هذا التاريخ الذي يعد أحد أهم أركان الهوية، لذلك ينبغي على من

يكتبه أو يرصده أن يكون على درجة كبيرة من الوعي لكي يفيد من الصدق فيأخذه، ويعرف الزائف فيرده ويفنده، والذين كتبوا في تاريخ الجزائر كثيرون ولكن الواعين منهم قليلون، وتبقى الحقيقة التي لا يختلف فيها المغالون أو المقصرون، هي أن الشعب الجزائري دافع عن أرضه وكرامته ومكتسباته بقوة العقيدة والإيمان، ففندوا بذلك نظرية الغزاة "وهي أن العرب الجزائريين كانوا لا يخضعون إلا للقوة، وأنهم كانوا طيلة تاريخهم تحت رحمة الغزاة وأنهم لم يستطيعوا في يوم من الأيام إعلان استقلالهم والتمكن من طرد غازيهم"¹.

لكن التاريخ شهد عكس ذلك ولقنوا المستدمر دروسا عدة، فالظلم المسلط على الشعب والبغي والطغيان والعدوان والحكم بما تملي الأهواء، هذا كله عجل يقظة النائم ونبه الغافل فحين طغى الاستبداد وظهر الفساد وكثرت صور الاستعباد في هذا الوطن كانت عوامل اليقظة مكتملة وتبين للجميع أن فرنسا أتت إلى الجزائر لتجعلها فرنسية، وانتشر الوعي لدى الشعب فتوالت بذلك ردود الأفعال الجزائرية بداية من الثورات الشعبية المتتابعة والتعاقبة التي رفعت رايتها للجهاد منذ 1830 وأعقبتها حوادث جمة وضخمة هي تلك التي سبقت الثورة المظفرة، منها السياسية والعسكرية وكانت من أبرزها ظهور تمثيلات وطنية في الساحة الدولية بداية من نجم شمال إفريقيا ثم تأسيس جمعية العلماء المسلمين، هذه الحركة الوطنية الجزائرية التي كان شأنها شأن الهزات الكبرى في العالم غالبا ما تبدأ ضعيفة ثم تقوى، وتبدو صغيرة ثم تكبر، وتدور في حيز محدود ثم تنتشر، وكل هذا تم لهذه الحركة في عدد قليل من السنين، وذلك عندما نضج الوعي الوطني خاصة بعد مجازر 8 ماي 1945 "التي أودى فيها الاستعمارون الفرنسيون بحياة ما لا يقل عن أربعين ألف مواطن جزائري"² وبذلك أعطت الصورة الحقيقية لفرنسا الغازية التي بينت "أن الحملة العسكرية التي قالوا عنها تأديبية انتقامية تؤدي دورها ثم تعود من حيث أتت، سحابة ثم تنقشع ولكنها استغرقت قرنا وربعا كانت تبدولأصحابها بلا نهاية تحولت إلى ظلمات بعضها فوق بعض"³، فكان على الأمة الجزائرية أن تهب عواصفها وتعصف رياحها لتنتقل هذه السحابة وترجعها من حيث أتت، وكان على رأس الشعب الجزائري تنظيمات وأحزاب اختلفت نواياها ورؤاها تجاه المستدمر، ومن أبرز هذه التنظيمات جمعية

¹-د. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ص17.
²-د. عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص281.
³-د. أبو القاسم سعد الله، مرجع سبق ذكره، ص15.

العلماء المسلمين الجزائريين التي كانت عصب الحركة الوطنية وقتئذٍ، والتي على الرغم من العوائق والتحديات التي واجهتها إلا أنها سارت في طريقها نحو نهضة شاملة بخطى ثابتة متزنة، يحدو قوافلها مبدأ الجهاد والنضال الذي لا يحسب للتضحية حسابها فبذلت أقصى الجهد وأعطت مما عندها من البذل، ولم يكن في الجزائر آنذاك هيئة موثوق بها وبرئيسها وأعضائها إلا جمعية العلماء⁴ ذلك لأن الحركة الإصلاحية في الجزائر ليست حركة دينية بالمعنى المألوف والشائع لدى العامة ولكنها حركة استقطبت المهام كلها واتقنتها كلها، ورمت إلى البعيد البعيد من أعماق الحياة، ففي الدين عملت بأصالية كتاب الله وسنة رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ودعت إلى الله على بصيرة وجلت عن نصاعة هذا الدين كل ما لصق به من تحريف المحرفين وتزييف المزيفين وتخريف المخرفين، فأرجعت له قوته وصفاءه وطهرته من الكدر والتعقيد، وعملت في الثقافة بالقلم ودعت إلى العلم لتتوير العقول ومحاربة الجهل الذي كان أحد أسباب تأخر استقلال الجزائر ففتحت المعاهد والمدارس في معظم القرى والمداشر ثم حصنت هذا التعليم بالقرآن ولغته ودعت إلى بذل النفس والنفيس في سبيلهما، وعملت أيضا على إرسال بعثات علمية إلى الخارج في المشرق وفي المغرب، فكانت أهدافها الثقافية تتمثل في إحياء الإسلام بإحياء الكتاب والسنة وإحياء اللغة العربية وآدابها وإحياء التاريخ الإسلامي، أما السياسة فقد نظرت إليها على أنها "عدل لحييف فيه، وعمل لاكسل فيه، وبناء لا هدم فيه"⁵ فكانت بذلك حركة إصلاحية وطنية شاملة لكل مناحي الحياة المتحضرة، فهي من الشعب وإلى الشعب، واعتبرته منطلق التغيير، فعملت على توعيته وتكوينه تكوينا إسلاميا شاملا فهي إن حققت هذه الغاية فإن هذا المجتمع حتما سيثور على ذلك الكيان الغريب عن أمتنا من كل نواحيه الثقافية والسياسية والاجتماعية والاعتقادية، "أليس من المفارقات العجيبة أن يكون الفرق بين عرب وغرب هذه النقطة نفسها...حقا إن هذه النقطة تلخص أشياء كثيرة ومصالح عديدة وتصورات ورؤى مختلفة متباينة وقد تكون متناقضة"⁶ هذا ماجعل جمعية العلماء المسلمين تتحمل مسؤولية الإصلاح منذ تأسيسها على يد المصلح عبد الحميد ابن باديس (1889 . 1940) الذي اشتغل بالبحث والتحصيل تحت إشراف علماء أجلاء كانت تزخر بهم الزيتونة وقتئذٍ فتكون وتكون وتخرج على يديه نخبة كبيرة من المصلحين هم الذين قادوا الثورة فيما بعد

4-د. أحمد طالب الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي (1954-1964) ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص1.

5-محمد طاهر فضلاء، دعائم النهضة الوطنية، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة 1984، ص80.

6-د. عبد الله الركبي، الهوية بين الثقافة والديمقراطية (دراسات ومقالات). دار الهومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص. 140.

وأشعلوا فتيلها، إنها الحقيقة التي أكدتها أحداث الثورة بعد ذلك والتي لا ينكرها إلا مكابر مافون، ولا يجدها إلا من في عقله هوس وحمق، ودليل ذلك شهداء تلك الثورة من علماء الجمعية من أمثال : أحمد رضا حوحو ، والعربي التبسي ، وعلي نزار ، وعلاوة بالصوف ، والحاج اسماعيل بوعلاف والذي كان عضو جمعية التربية والتعليم الإسلامية وغيرهم كثير .

كانت أفكار هؤلاء المصلحين تسري في كيان الأمة بأكملها ، وذاع صيتها في كل مكان وأصبحت تشكل خطرا حقيقيا على الوجود الفرنسي وهذا باعتراف القادة الفرنسيين أنفسهم ، حيث صرح أحد النواب البرلمانيين في إحدى المؤتمرات "بوجود عناصر وطنية في الجزائر ذات حماس جنوني منها جمعية العلماء"⁷ هذه التي تبنت مبداء يزعج فرنسا ، وهي أن الأمة الجزائرية أمة إسلامية وليست هي فرنسا ولا تريد أن تصير فرنسا ، وبكل هذا فهي تعمل على بعث شخصية الجزائر الضائعة وتضع لذلك ثوابت ماتزال على كل لسان وهي الجزائر ، والإسلام ، والعربية تلك القيم والأفكار والمبادئ الكبرى التي شكلت الحس المشترك وتبلور في إطارها الضمير الجماعي للشعب"⁸ وهي ثوابت إذا ترجمت باللغة القومية تصبح الدعوة إلى إنشاء دولة مستقلة فهذه هي مبادئها التي لا يمكن أن تتنازل عنها بأي حال من الأحوال ، وما زادها قوة وتأججا الرؤوس المفكرة والعقول المدبرة التي احتوتها جمعية العلماء ، كيف لا وهم أعلام الجزائر وعلمائها الذين بهم وبأفكارهم تغلغلوا في الأمة الجزائرية وزعزعوا الكيان الفرنسي ، ولا يوجد مكان أو بقعة جزائرية وقعت عليها أقدام المستدمر إلا وطهروها ورفعوا عنها الدرن والدنس ، ذلك لأنهم جندوا أنفسهم لغاية سامية وهي التطهير والإصلاح فجاهدوا بأنفسهم وأقلامهم وطرزوا قراطيسهم بالأفكار التي تدعو إلى الصحة والنهضة ، ولا يكفي المقام هنا لذكر أسمائهم ، ولا يمكن أن نحصي ثناء عليهم كما أثنت عليهم ثمارها ذاتها ، فكل ساهم بما يملك ، وكانوا يعتبرون أقل جهد هو الكتابة الثائرة في جريدة " البصائر " لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تحمل مبادئهم وأفكارهم وتعبّر عن مواقفهم وآرائهم ، تكتب فيها أقلام متميزة وشخصيات فذة إذ "إن كتاب البصائر من الناحية الأدبية أقوى تعبيرا وأجمل

⁷-محمد الطاهر فضلاء ، مرجع سبق ذكره ،ص. 140 .

⁸-محفوظ نحناح ، الهوية ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،ص.7 .

تصويرا ، وأغزر مادة⁹ ، مما أهلها لأن تكون " أرقى صحيفة عربية ظهرت في وطننا حتى الآن من حيث الأناقة اللفظية والروعة الأدبية"¹⁰ .

وكان من رجالات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأعلامها ، القطب البارز والنجم الساطع " الشيخ محمد المنصوري الغسييري " الذي لا تغطيه سحابة ولا تحجبه عتمة لأن أعماله خلدته ، ومواقفه مجدته ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن نتجاوزه وآثاره شاهدة عليه ، نظرا للنهج الوطني والإصلاحي الذي انتهجه ، وبقي ثابتا عليه إلى أن وافته المنية ، فمضى وبقي النهج والأثر ، والذي سنخصص له هذا البحث لنتحدث عن شخصية هذا العلم الأديب المصلح ونحاول جمع ما تركه من آثار، ودراسة بعضها، ذلك لأنه كان كاتباً وخطيباً ورحالة ومدرسا بالمبادئ ومعلما بالقلم، ومربيا بالأفكار، ومرشدا كشافيا بكل ذلك وباختصار فقد احتوته الجزائر فاحتواها ، وجعل نفسه وقفا لها في حياته ومماته رحمه الله وطيب ثراه وأسكنه فسيح جناته .

2. مولده ونشأته وتعلمه:

هو محمد بن أحمد يكن المعروف والمشهور بـ (محمد المنصوري الغسييري) أما (المنصوري) فهو نسبة إلى لقب أمه* ، وأما الغسييري فهو نسبة إلى قرية (غسيرة) التي تقع بـ (أريس) ولاية باتنة ، ففي هذه القرية ولد (محمد المنصوري الغسييري) سنة 1912م** " وبعد الاستقلال أرجع لقبه الأصلي وهو (يكن) ولكنه ظل معروفا بـ (محمد الغسييري)"¹¹ وكعادة الجزائريين المحافظين الذين كانوا يعنون بتعليم أولادهم القرآن الكريم منذ نعومة أظافرهم فقد حرس عليه أبوه فأدخله أحد كتاتيب الدشرة لحفظ كتاب الله . عز وجل . فبدأ حفظه في هذه القرية التي نشأ بها ، ولم يتمه بسبب إصابته بمرض في عينيه ، الذي عانى منه مدة طويلة، واقترح عليه والده أن يتوجه إلى بسكرة . عاصمة الجنوب آنذاك . لمعالجة دائه "وتوجه فعلا إليها سنة 1929 فنزل بها واتصل بالطبيب السيد الأخضر الملكي الذي عالجه حتى أبل"¹² ولما تمكن

⁹-د. عبد المالك مرتاض ، نهضة الأدب العربي في الجزائر (1925-1954) ، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1983، ص. 110 .
¹⁰-المرجع نفسه ، ص. 112 .

* أكد لنا صهره عبد اللطيف صالحى أن هذا اللقب نسبة إلى لقب أمه وليس نسبة إلى الدشرة التي ولد بها وهي "أولاد منصور" (أنظر الملحق)

** . في معظم الكتب نجد سنة إزدياده 1919 ، لكن الأصح هي 1912 ، وهذا بشهادة صهره عبد اللطيف صالحى .

¹¹-مقابلة مع السيد عبد اللطيف صالحى ، معلم متقاعد ، قسنطينة ، يوم 8 أبريل 2005.

¹²-محمد الحسن فضلاء ، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، ص279.

من برئه إلتحق بجامع " سيدي الجردى " لتتيم قراءة القرآن الكريم وكان له ذلك بعد سنتين تقريبا من التعليم على يد الشيوخ " محمد الصغير جودي " وعمار بن الجودي الغوافوي " و " وعمار بن إبراهيم الغوافوي " و " يوسف بن فيالة " .

ثم التحق بمدرسة إبتدائية عربية حرة ، أسستها نخبة من فضلاء بسكرة ، أسموها مدرسة الإخاء ، فنتلمذ فيها على يد الشيخ "محمد خير الدين الفرقاري" مدة سنتين ، حيث تعلم هناك مبادئ العربية وقواعد النحو وأصوله . " وفي سنة 1932 انتقل إلى قسنطينة " والتحق بالجامع الأخضر بالمدينة " واستصحب معه رسالة إعتقاد من الشيخ محمد خير الدين ¹³ ومن ثم انتظم في سلك طلبة عبد الحميد بن باديس في الموسم الدراسي (1932 . 1933) ، وبعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين بعام واحد فقط فكان من السابقين لاغتراف العلم من هذا المنهل الصافي الأصيل ، فكان شغوفاً بطلب العلم حيث كان يحضر غالب دروس الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس ، ولا يفوت أي فرصة يستفيد ويتعلم منها فكان إذا غاب الشيخ فإنه يحضر دروساً أخرى يتلقاها على أيدي مساعديه من أمثال: الشيخ "الشريف الصانفي" (1889.1942) و"الشيخ الفضيل الورتلاني" (1900-1959) ، وظل يتابع دراسته هذه من سنة 1933 إلى غاية 1938 وقد حصل في هذه المرحلة على رصيد معتبر من العلوم والمعارف مكنته فيما بعد من إتقان حمل القلم ، واصطفته أن يكون من الشيوخ الكبار الذين تفخر بهم جمعية العلماء المسلمين ، كيف لا وقد فتح عينيه على المبادئ العامرة بأبطالها ، وفتح أذنيه على الأصوات المججلة بالعلم والإصلاح من دروس عامرة بحقائق التنزيل والحكم النبوية ، ومحاضرات بليغة من التاريخ الإسلامي والأدب العربي تفيض بالبيان الساحر ، وتتدفق بالبلاغة الرائعة فنشأ مؤمناً ، متين العقيدة حراً ، عميق التفكير صريحاً لاذع الصراحة ، جريء اللسان على كلمة الحق ، شجاع الرأي إذا جلجت الآراء وتخافتت ، غيور على وطنه غيرته على دينه ، إذن فهو معدود من بواكير هذه النهضة المباركة في الجزائر رافقها في جميع مراحلها ، وشارك . على فتوته . الشيوخ المحنكين من أبنائها .

ونظراً لنبوغه وحنكته أشار عليه الأستاذ الإمام "عبد الحميد بن باديس" أن يلتحق معلماً " بمدرسة التربية والتعليم ، كما أهله لإلقاء بعض الدروس لطلبة الجامع الأخضر في سيدي

¹³-المصدر نفسه،ص280.

بومعزة في أوقات فراغه من المدرسة وكان ذلك سنة 1937⁽¹⁴⁾، ودام على هذا الحال إلى أن توفي الشيخ "عبد الحميد بن باديس" في 16 أبريل 1940، لكن رفاق الشيخ وتلامذته واصلوا طريقهم في خدمة الجزائريين ومنهم "محمد المنصوري الغسيري" الذي استمر معلما في التربية والتعليم ومنها مبديا رغبة تواقفة إلى الانخراط في سلك كشافة الرجاء، إلى أن عين . باسم الكشافة الإسلامية الجزائرية . مرشدا عاما وبذلك شارك في رحلات كشفية عديدة إلى أوروبا والمشرق العربي، وفي سنة 1944 عين مديرا لمدرسة الإرشاد بسكيكدة وكان في الوقت نفسه يشرف على تحرير مجلة "الحياة" التي كانت تصدر عن منظمة الكشافة الإسلامية التي كان قائدا لها وقتئذ .

3. زواجه :

تزوج . رحمه الله . في شهر سبتمبر من سنة 1945 بإحدى فضليات التلميذات الأوائل لمدرسة التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة اسمها " خضراء صالح" من مواليد سنة 1926، ونشط عرسه فرق من الكشافة الإسلامية الجزائرية وكان يسكن في نهج سيدي لمدين رقم 11 بقسنطينة¹⁵، أنجب ثلاثة أنجال وهم على التوالي : "بسيمة" و"عبد الحميد" و"بشيرة"، وقد تحصلوا جميعا على شهادات جامعية محترمة، بسيمة ليسانس في التاريخ، وبشيرة دراسات عليا في القانون، وعبد الحميد . الذي توفي مؤخرا . دراسات عليا في العلوم السياسية .

4. المهن التي تقلدها :

1.4. مرشد عام للكشافة الإسلامية :

إننا إذا تحدثنا عن تاريخ الكشافة في الجزائر، فلا بد لنا أن نتحدث عن نقطة أليمة وبداية حزينة في تاريخ هذه الهيئة الاجتماعية الثقافية حيث "إن الكشافة في الجزائر كانت قبل الثلاثينات فرنسية خالصة، وكانت تضم فرقا كشفية ودينية وعلمانية، مثل الكشافة الكاثوليكية، والكشافة الإسرائيلية، والكشافة اللائكية"⁽¹⁶⁾، وأمام هذا الوضع الصعب كان على الغيورين من أبناء هذا الشعب البررة وشبابه المتحمس أن يرفعوا التحدي لتأسيس هيئة كشفية إسلامية وما زادهم قوة وإرادة هو أنه عندما "جاءت احتفالات الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر عام 1930

¹⁴ - المصدر نفسه .

¹⁵ - مقابلة مع السيد عبد اللطيف صالح، معلم متقاعد، قسنطينة يوم 8 أبريل 2005.

¹⁶ - أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص229.

ومشاركة الكشافة الفرنسية في عرض التحدي والاستفزاز للشعور الوطني الجزائري ، انسحب الكشافون الجزائريون من بين صفوفها وأخذوا يسعون إلى تنظيم كشفي مستقل بهم¹⁷ . ولقد كان رجال الإصلاح في الجزائر هم الذين دعموا فكرة إنشاء فرقة كشفية وطنية جزائرية ، وشجعوا القائمين بهذه المبادرة ، فكان المنبع الأول للكشافة الإسلامية الجزائرية هو الإصلاح وهدفها النبيل وغايتها الأسمى ، فكونوا عساكر تحت الغطاء الكشفي فكانوا جنود العروبة والإسلام .

" وبالفعل تأسست الحركة الكشفية الإسلامية سنة 1930 وكان ذلك بتأسيس أول فوج اسمه " فوج الخلود " ، تحت قيادة محمد بوراس¹⁸ .

وتداول على هذه الهيئة عدة رؤساء ، ومرشدين ، وكان من بينهم الأستاذ "محمد المنصوري الغسيري " ، فبعد استشهاد مؤسس الكشافة الإسلامية الجزائرية سنة 1945 حدث تصدع في صفوف أبنائها ، وانشقاق في أفكار أفرادها ، " فقد انقسمت إلى جامعتين بسبب تدخل السياسة الحزبية فيها فانشطرت إلى جامعة تعمل بتوجه حزب معين ، وجامعة غير متحزبة¹⁹ " وكان "محمد المنصوري" من أهل الرأي في هذا الانقسام وقبله ، فهو انقسام فرضته الظروف الاجتماعية والثقافية ، وبدرجة أكبر الظروف السياسية ، التي أقحمت الكشافة في حرب السياسة التي ثارت ثائرتها في الجزائر في تلك السنوات " وكان الصديقان " محمود بو زوزو " و " محمد الغسيري " قد قبلا الأمر الواقع في الكشافة وانقسام الجامعة إلى جامعتين ، الأول مرشد عام للجامعة المتحزبة ، والثاني مرشد عام لغير المتحزبة²⁰ ، وكان ذلك سنة 1952 حيث يقول محمد الصالح رمضان : " في أوت 1952 وقع مخيم كشفي لبعض أفواج الشرق الجزائري في سكيكدة ، حضره الأستاذ " الغسيري " الذي كان يدير مدرسة الإرشاد في المدينة ، وتعين مرشدا عاما لجامعة الكشافة غير المتحزبة²¹ .

فبعد أن أخذ التربية السليمة من شيوخ جمعية العلماء المسلمين وتغذى بمبادئها وتشبع بأفكارها ، ونهل من علمها ، ضف إلى ذلك رغبته الشديدة والملحة في الانضمام إلى صفوف الكشافة الإسلامية الجزائرية ، كل ذلك أهله لأن يكون مرشدا عاما للكشافة الإسلامية ، فيقول

¹⁷ - المرجع نفسه.

¹⁸ - المرجع نفسه ، ص 230.

¹⁹ - د. أبو عمران الشيخ ، محمد الجيلي ، الكشافة الإسلامية الجزائرية (1935-1955). دار الأمة للنشر والتوزيع ، برج الكيفان ، الجزائر ، ص 161.

²⁰ - المصدر نفسه.

²¹ - المصدر نفسه ص 199.

محمد الصالح رمضان الذي كان نائباً له وقتئذٍ : " وفرت لنا جمعية العلماء المرشد العام الشيخ " محمد الغسييري" ومرشدين آخرين لأفواج الكشافة الإسلامية في أغلب المدن فكانوا مسؤولين عن التربية الدينية، ويشاركون في النشاطات الكشفية بصفة عادية "22 .

وإذا تكلمنا عن الإرشاد فإننا نتكلم عن معنى جليل ، وهدف نبيل ، فالإرشاد كما عرفه المرشد العام للكشافة الإسلامية الجزائرية ، محمود بوزوزو هو : "صوغ روح ، وبت فكرة ، وخلق حياة نفيسة داخل الطفل ، كل ذلك بإحياء الضمير الخلقى فيه ، إن الذين لا يفهمون الإرشاد بهذا المعنى يوشكون أن يؤديوا دور مدرس لا مرشد "23 ، حيث إذا خرج معنى الإرشاد عن مفهومه الحقيقي ، فإنه لا يمكن أن يعطي ثماراً طيبة ، وكان المرشد " محمد المنصوري الغسييري " من الذين فهموا الإرشاد بمفهومه الأصيل كيف لا وقد " استلهم الإرشاد من القرآن والحديث وسير الصحابة ، ثم من كل ما بني عليه الإسلام من حسن معاملة وعظمة ، إنه الدين القيم الذي يدعو إلى الخير وينهى عن المنكر ، ويوحى بحب الجميل وبذل كل شيء في سبيل الحق "24 .

هكذا إغترف مرشدنا من منابع السليمة للإرشاد وتشبع بمبادئه الشريفة ، وأفكاره النبيلة ، فكان على الجمعية العامة للكشافة الإسلامية أن تنتخبه مرشداً عاماً لها بعد أن أثبت جدارته وحبها لها ، وقبل أن ينتخب كمرشد عام ، انتخب مساعداً ، وكان ذلك في " سطيف يوم 26 جويلية 1950 بالإجماع إلى جانب الرئيس الطاهر التجيني والأمين العام بو عمران الشيخ "25 .

2.4 . عضو في لجنة التعليم العليا لجمعية العلماء :

تأسست لجنة التعليم العليا من طرف جمعية العلماء المسلمين ، عام 1948 للإشراف على شؤون المعلم والمتعلم في الجمعية ، وتسعى هذه اللجنة لحل المشاكل التربوية التي كانت تعترض التعليم وقتئذٍ " وذلك بتنظيم ملتقيات تربوية دورية معهم تناقش فيها المشاكل كما كانت تنشر دروساً نموذجية خاصة بالمعلمين ، لتنمية ثقافتهم ، وتوسيع خبرتهم المهنية " 26 ، وكانت

22-المصدر نفسه، ص87.

23-المصدر نفسه، ص202.

24- المصدر نفسه، ص203.

25- المصدر نفسه، ص204.

26-المصدر نفسه، ص ص 212، 213.

لهذه اللجنة عدة وظائف لا يتقنها إلا المقعدرون من أبناء الجمعية ،من أهمها السهر على " وضع برامج التعليم والإشراف على تنفيذها ، وتقوم بترشيح المفتشين لمصادقة المكتب الدائم ، حسب الشروط المنصوص عليها"*** ، وتباشر تسميات المعلمين والإشراف على مناظراتهم ، وتعيين أوقات الراحة والعطل ، وبداية السنة الدراسية ونهايتها... وتشرف على إجراء إمتحانات الشهادة الإبتدائية العربية ، وتباشر تهيئة البعثات إلى الخارج ، وعقد المؤتمرات التعليمية للمعلمين²⁷ .

وكان "محمد الغسييري المنصوري" من الذين يسهرون على تطبيق هذه المهام بجد وتفان في العمل مما أهله لأن يكون مفتشا جهويا لمدارس جمعية العلماء.

3.4 . مفتش جهوي لمدارس جمعية العلماء المسلمين :

إن النفس هي منطلق التغيير ، فإذا أنت صقلتها على الحق اهتدت ، وإن أنت صقلتها على الباطل ضلت وانحرفت ، حيث " ترى جل النظريات أن محور تغيير الأوضاع الاجتماعية على المدى البعيد يقوم على بناء الإنسان من المنطلق ، ويتمثل هذا في مجال التربية بإعداد الفرد وفق المنهج المرسوم ، والقالب الذي يصوره رواد التغيير ويتجلى هذا المنظور في العناية بالطفل ناشئا في البيت ، وتلميذا في المدرسة ، وطالبا في الثانوية والجامعة²⁸ .

ومن هذا المنطلق ، أدركت الحركة الإصلاحية هذا الأمر فأعدت له عدته ، وركزت جهودها لبناء المدارس في مختلف أرجاء الوطن ، فجندت كل طاقاتها من الرجال والأموال والفكر والتخطيط ، لتحقيق هذا الهدف المنشود ، وإن رآه البعض بعيد المنال ، وإذا تكلمنا عن التعليم الباديبي فإننا لا نحصي ثناء عليه كما أثنت عليه نتائجه التي ما تزال آثارها الإيجابية إلى حد الآن ، ذلك لأن التعليم الباديبي ارتكز على مبادئ صلبة ، منطلقا إلى تحقيق أهداف سامية ، تنوعت وتعددت ، فمنها الدينية التي تمثلت في المحافظة على الشخصية الإسلامية " عن طريق تعليم القرآن الكريم للتلاميذ وتلقينهم تعاليم الدين الإسلامي، وكذا تخريج حفاظ القرآن الكريم"²⁹ ومنها تربية التي تتلخص في توجيه أخلاق التلاميذ ، والاعتناء

** شروط المعلم نفسها ، ويزاد عليه أن يكون قد باشر التعلية أو الإدارة لمدرسة تابعة لجمعية العلماء مدة لا تقل بحال عن ستة أعوام .

27- د. أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر . ج 2 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ص 77.

28- مؤسسة الشيخ عبد الحميد بن باديس ، الشهاب الجديد ، المجلد 1 ، السنة 1 ، العدد 2 ، ص 142 .

29- المرجع نفسه ، ص 199 .

بالجانب الجسماني " عن طريق تنظيم مسابقات رياضية وثقافية"³⁰ وأخرى أهداف اجتماعية وتتمثل في نقل ثقافة المجتمع وقيمه المختلفة إلى التلاميذ ، حتى يتم التوافق التام مع هذا المجتمع ، وللحفاظ أيضا على مؤسساته الاجتماعية ، ضف إلى ذلك إشراك التلاميذ في مختلف الأعمال التطوعية والكشفية ، وكانت الأهداف العلمية هي المرجوة من كل ذلك " بالنظر إلى أمر مهم وهو وجوب إلتحاق التلاميذ بالمدرسة القرآنية وضرورة التحصيل العلمي بتمكين التلميذ من مختلف المعارف خاصة الشرعية منها وتوسيع مداركه العقلية ، واكتشاف مختلف المواهب مع تلميتها"³¹ ، وشملت أيضا تعليم اللغة العربية والتي هي إحدى مقومات الشخصية الوطنية،فهي ليست "مجرد وسيلة للتخاطب مع الآخرين فحسب،فهي أيضا أقوى عوامل نمو الشخصية الفردية والجماعية"³² ، لذلك كانت مستهدفة من طرف المستعمر فبذل كل ما في وسعه للقضاء عليها بمختلف الطرق لتفكيك المجتمع الجزائري وفصله عن ماضيه ليسهل هضمه وابتلاعه " وكانت الميادين التي خاضتها السلطات الفرنسية للقضاء على اللغة العربية هي ثلاث : المدارس ، والصحافة ، والكتب والمخطوطات "³³ .

لذلك حملت الجمعية على عاتقها مسؤولية تعليم اللغة العربية وحفظها من كل المكائد ، وكذا محو الأمية ، فجاءت مدارس العلماء المصلحين كرد فعل على المدارس الاستعمارية ، التي كانت تحاول هدم مقومات الشخصية الجزائرية بتعليم الجزائريين آداب الغربيين ، " وذلك تطبيقا لتوصيات قادة الاحتلال الذين حثوا جيشهم سنة 1830 بقولهم : " علموا لغتنا وانشروها حتى تحكم الجزائر ، فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة " هذه العبارة قالها الحاكم الفرنسي الكورسكي في تبسة "³⁴ .

أما الجمعية فبعد ظهورها في ميدان التعليم ، انتشرت في المسلمين الجزائريين رغبة ملحة إلى العلم والإقبال عليه لأنها سارت على منوال المصلحين في المشرق الأدنى في حركتها التعليمية التي كانت ناجحة إلى حد بعيد " واتخذت شعارها في هذا الميدان قول "جمال الدين

³⁰ - المصدر نفسه

³¹ - المصدر نفسه .

³² - فريدريك هرتز ، القومية في التاريخ والسياسة .ترجمو عبد الكريم أحمد ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ص .92 .

³³ - مؤسسة الشيخ عبد الحميد بن باديس ، مرجع سبق ذكره، ص.313.

³⁴ - محمد علي ديوز ، أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1921 إلى عام 1975.ج1 ، ط1 ، مطبعة البعث ، قسنطينة ،ص .150.

الأفغاني" ، لاجماعة لقوم لالسان لهم ، ولالسان لقوم لأآداب لهم، ولاعزة لقوم لاتاريخ لهم ... وهذا كله يتوقف على تعليم وطني بدايته الوطن ووسطه الوطن وغايته الوطن³⁵.

ولما كانت التربية والتعليم عاملين أساسيين وهامين في تحقيق الشخصية القومية للجماعة ، فإن الجمعية قد اهتمت منذ البدء بإنشاء المدارس العربية في شتى أنحاء القطر الجزائري ، ولعل الدور الإيجابي الذي تلعبه المدارس في حياة الفرد والمجتمع ، هو الذي جعل الجمعية تحاول مباشرة عملية الإشراف الكامل على التعليم العربي في الجزائر حتى تضمن تخريج الإطارات العربية حيث " كان الطلبة يتعهدون هذه المدارس بتعلم النصوص القرآنية واللغة العربية وكان التلاميذ الذين يتخرجون من تلك المدارس يتولون التعليم بأنفسهم³⁶ ، وذلك للحفاظ على سمعة الجمعية التي تهدف إلى غرس المبادئ الصحيحة للهوية الوطنية وتنميتها داخل المجتمع ، وهذه المسؤولية لا يتحملها إلا من تشبع بأفكار الجمعية وترى في أحضانها ونهل من كوثرها ، وكان من بين هؤلاء " محمد المنصوري الغسييري" الذي كان معلما ومربيا ، ثم مرشدا وموجها ، ثم مفتشا جهويا لمدارس جمعية العلماء المسلمين ، لأنه ابن بار من أبنائها ، وغصن من دوحتها الفينانة ، فتح عينيه على شعاعها وسار في الحياة من أول خطوة على هداها ، كما كان مدير فرع التربية بباردو (قسنطينة) ، ومدير مدرسة الإرشاد بسكيكدة ، وذلك بشهادة "محمد الصالح رمضان" الذي يقول : " في أوت 1952 وقع مخيم كسفي لبعض أفواج الشرق الجزائري في سكيكدة ... حضره الأستاذ "الغسييري" الذي كان يدير مدرسة الإرشاد في المدينة³⁷ .

وعندما اطمأنت له الجمعية ولأعماله التي كانت ناجحة إلى حد بعيد ، رفته إلى مفتش عام في العمالات الثلاث **** .

ونظرا لإخلاصه وتفانيه في العمل ، حيث جعل نفسه وقفا للجزائر وقضاياها عين " كمندوب دائم لدى جبهة التحرير الوطني في سوريا وكان ذلك يوم 21 يونيو 1956 وكان يعمل مساعدا

³⁵ - عبد الكريم بو صفصاف ، جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية ط1 ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، ص 150 .

³⁶ - أندري برنيان وآخرون ، الجزائر بين الماضي والحاضر . ترجمة أسطنولي رايح ، ومنصف عاشور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص.211.

³⁷ -د. أبو عمران الشيخ ، محمد الجيجلي ، مصدر سبق ذكره ، ص.199.

**** . كانت الجزائر في العهد الاستعماري الفرنسي مقسمة إلى ثلاث ولايات فقط ، تسمى العمالات وهي : عمالة قسنطينة في الشرق ، وعمالة

الجزائر في الوسط وعمالة وهران في الغرب

للأستاذ "عبد الحميد مهري" ، كما كان يشرف على الحصص الإذاعية الموجهة من دمشق إلى الجزائر وثوارها³⁸ .

وبعد استقلال البلاد ونشاط الدبلوماسية الخارجية للجزائر، عينت الجمهورية أول سفير لها ، " وعين بدوره سفيرا في العربية السعودية من سنة 1963 إلى 1970 ، ثم سفيرا في الكويت من سنة 1970 إلى 1974"³⁹ .

لقد مارس "الغسيري" الدبلوماسية ببراعة فائقة ومثل الجزائر في الخارج أحسن تمثيل واتخذها علما وفنا " حيث هدفها كعلم يقوم على معرفة العلاقات القانونية والسياسية لمختلف الدول، ومصالحها المتبادلة، والتقاليد التاريخية والشروط المتضمنة في المعاهدات ، وهدفها كفن يقوم على إدارة الشؤون الدولية حيث تتضمن أهلية التنسيق وقيادة ومتابعة أسباب المفاوضات السياسية بمعرفة⁴⁰

5. الغسيري والمحطات الثورية في الجزائر :

1.5. في حوادث 8 ماي 1945:

نظرا لنشاطه السياسي والإصلاحي الذي بلغ أوجه في الأربعينيات، فإنه شكل نقطة سوداء أمام مبتغى المستعمر ، وكانت البداية من حوادث 8 ماي 1945 ، فلم يسلم من الاعتقال والسجن والتعذيب في الزنزانة الفرنسية ، كمعظم الأحرار من أبناء الشعب الجزائري ، ومعظم المعلمين المخلصين من أبناء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، " فقد أُلقي عليه القبض في 16 ماي 1945 من طرف سلطات (الاستعمارية) قسنطينية ، فدخل السجن المدني (الكدية) وبقي فيه ثلاثة أشهر ونصف "⁴¹ يعاني الأمرين ، عذاب السجن وويلاته ، وبعده عن رفاقه في الحقل الاجتماعي الإصلاحي " ومنه نقل إلى سجن الحراش بالجزائر العاصمة ، الذي مكث فيه ثلاثة أشهر أخرى " ⁴² وبقيت السلطات الاستعمارية مشددة عليه الخناق فكلما أُلّف المكان وأراد ربط العلاقات مع إخوانه إلا وأبعدته ، فمن سجن الحراش "نقل مع مجموعة من الرفاق

³⁸ -محمد الحسن فضلاء ، مصدر سبق ذكره ،ص.285.

³⁹ -المصدر نفسه .

⁴⁰ -د.علي حسين الشامي ، الدبلوماسية نشأتها وتطورها وقواعدها ونظام الحصانات والامتيازات الدبلوماسية .ط1 ،دار العلم للملايين ، بيروت ،لبنان 1990 ،ص.30.

⁴¹ - محمد الحسن فضلاء ،مصدر سبق ذكره ،ص .281.

⁴² - المصدر نفسه.

إلى معتقل (جنان بورزق) جنوب العمالة الوهرانية ، ومنه إلى معتقل (مشرية) وقد خرج منه ليفرضوا عليه الإقامة الجبرية في أحد سجون (فيالارد)⁴³ إلى أن أفرج عنه نهائيا مع بعض إخوانه ورفقائه في الدرب وكان ذلك في 27 مارس 1946 ، وعاد إلى قسنطينة مهد العلم والإصلاح ليواصل نشاطه الاجتماعي، وبهذه المحطة الأليمة التي مر بها ، زاد حماسه وبلغ أوجه فدخل العمل الإصلاحي من أبوابه الواسعة ، فلم يترك مجالا إلا واهتم به، فكان مرشدا كسفيا فذا، وكاتب صحفيا فحلا ، وقائدا سياسيا محنكا، إلى أن تم الإعلان عن الثورة واشتد لهيبها فكان من الأبطال الأحرار الذين رفعوا السلاح في وجه المستدمر الغاشم .

2.5 . في ثورة الجزائر وإعلانها :

انطلاقا من البداية المشرفة والمشرقة للأستاذ "محمد المنصوري الغسييري" واقتحامه لعدة مجالات ، فإننا لا نعجب أبدا من أنه كان من الذين فجروا الثورة المظفرة ، وخططوا لها ، ورفعوا السلاح في وجه العبودية والاستعباد ولا نجد أصدق كلاما من كلامه هو نفسه عن البداية في المشاركة في الثورة المسلحة حيث " يذكر الأستاذ "الغسييري" في كناش له أنه في صائفة سنة 1954 زرنا في رحلتنا المشرق العربي بالقاهرة (الأمير عبد الكريم الخطابي) وذلك في منزله ، كنا كشافة يبلغ عددنا 28 وصحافيين خمسة ، ومنهم : "عباس فرحات" ، و"أحمد بومنجل" ، و"الطاهر التيجاني" ، و"محمد الهادي جمام" ، وفي أثناء تحدثه إلينا أعلن بأنه سيطلعنا على سر يجب كتمانها ، وأنه ليعمد إلى أخذ الإيمان منا على المصحف الشريف ألا نذيع هذا الخبر أبدا متى يتحقق العمل به، وأقسمنا جميعا أن لا نذيع السر ثم قال ، بعد أن سأل كلا منا عن مهنته التي يمتنها في البلد " إن عليكم أن تعلنوا الثورة المسلحة بعد عودتكم إلى الجزائر ولقد أضحي مستحيلا أن تمنحكم فرنسا أي حق بدون إعلان الجهاد ، والشروع فيه فورا ، وإن لم تفعلوا . لا قدر الله . فإن هناك من يعلنه، ومن هنا من القاهرة ولست أنا بعيدا عن ذلك" وعدنا إلى الجزائر على أمل تنفيذ العهد والمشاركة في العمل العظيم الذي سيجابهه شعبنا ، وما هي إلا أشهر حتى أعلنت الثورة يوم غرة نوفمبر 1954 وبعدها مباشرة أعلننا تأييدنا لها

⁴³ - المصدر نفسه.

والتحقنا جميعا بالفروع التي حددت لنا ، وكنا نحن المعلمين في مدينة قسنطينة نعمل فرادى مع وحدات الجيش في ميدان التموين والسلاح ، ثم مالبثنا أن أعلننا نحن المعلمين الأحرار أي معلمي مدارس جمعية العلماء بواسطة منشور بجريدة البصائر ، إننا جميعا مؤيدون للثورة وملتحقون بصفوفها ونتحمل كل عواقب عملنا ذلك ، وماهي بعد ذلك إلا أيام حتى بدأت المدارس تغلق والإخوان يسجنون ... الخ ⁴⁴.

ويستمر الشيخ الغسيري في تسجيل ملاحظاته فيقول : " في غرة إبريل 1956 وفي هذه الأيام حدثت أحداث في قسنطينة ، قتل فيها رئيس قسم البوليس (رحبة الصوف) المدعو (سامار سيلبي) ، وذلك على يد فدائي أطلق عليه رصاصة أردته صريعا في الحين (في رواق الجزائرين قريبا من الجامع الأخضر) .

وكان أن عمدت السلطات الفرنسية إلى إلقاء القبض على جماعة من رفاق النضال في مدينة قسنطينة غيلة وغدرا ، وكان بينهم الكاتب القصصي (أحمد رضا حوحو) كاتب معهد ابن باديس ، والحاج "إسماعيل بوعلاق" عضو جمعية التربية والتعليم الإسلامية ، و"علي دبوز" ، و"علي نزار" ، و"عبد الملك بوزو" و"علاوة بو الصوف" ، وغيرهم وقد قتلوهم دون أية محاكمة .

كما أن ولد الكوميسار القتيل (سامار سيلبي) حمل رشاشة في معية جمع من القتلة الفرنسيين ، فخرجوا هائجين إلى الشوارع قرب (الكدية) يطلقون الرصاص على كل من يجدونه أمامهم ، فقتلوا عدیدا من سكان المدينة ثأرا لقتيلهم انتهى كلامه ⁴⁵ .

ولم تشف السلطات الفرنسية غليلها، وجيشها الحقود بمن أعدموا وقتلوا ، بل أضافوا قائمة أخرى سيكون أجلها فيما بعد " وكان من بين القائمة" محمد الغسيري" وقد أجبره المحامي "عبد المجيد بن أحمد" الذي استقى الخبر من والي المدينة وكان صديقا له ، وقد طلب إلى كل المتقفين أن يغادروا المدينة في ذلك اليوم ... وكان من بينهم الأستاذ "الغسيري" الذي التحق بالجزائر ، وهناك قرر الرفاق سفره إلى فرنسا ⁴⁶.

44- المصدر نفسه، ص.283.

45- المصدر نفسه، ص.283، 284.

46- المصدر نفسه، ص.284.

6. الغسيري ونشاطه في الخارج :

واقترح الغسيري برأيهم الذي لم يكن له أي خيار إلا أن يغادر الجزائر « وخرج منها يوم 9 أبريل ، فنزل بـ (ليو) وقد كلف بالعمل في المنطقة مع العمال الجزائريين بغية تأسيس خلايا جبهة التحرير الوطني وقام بالمهمة التي أسندت إليه ونجح فيها »⁴⁷.

وكانت تلك المدة التي قضاها هناك كافية لوضع نواة تابعة لجبهة التحرير الوطني ثم " غادرها إلى باريس وفيها اجتمع بشعبة جبهة التحرير الوطني ، وكان على رأسها يومئذ ، أحمد طالب الإبراهيمي ، والصالح الوانثي ، ومحمد البجاوي"⁴⁸.

ورغم الحصار المشدد عليهم ، والظروف الصعبة التي كانت تمر بها الجزائر في الداخل والخرج إلا أنه كان يعقد " اجتماعات متواصلة مع العمال الجزائريين في منازلهم ، وفي أماكن اجتماعاتهم السرية ، برغم الصراع العنيف بين أنصار حركة مصالي الحاج وجبهة التحرير الوطني ، ولحسن الحظ لم يدم الخلاف طويلا فقد قويت شوكة الجبهة من الداخل والخارج واقترح الجميع بأنها الحركة الوحيدة التي سيكتب لها النجاح في النهاية "⁴⁹

⁴⁷ - المصدر نفسه.

⁴⁸ - المصدر نفسه.

⁴⁹ - المصدر نفسه ، ص.285.

من خلال هذه التحركات التي قام بها في الخارج نستشف أن "الغسيري" كان كالغيث أينما وقع نفع ، وكان يسافر بأمر من المصلحة الوطنية التي وضعها فوق كل اعتبار، وجعلها أولى من أهله بل حتى من نفسه .

وبينما هو في باريس يزاول نشاطه التأسيسي " قرر المناضلون في شعبة التحرير أن يغادر باريس إلى القاهرة، فاتخذت جميع الإجراءات وغادر التراب الفرنسي إلى (زوريخ) التي وصلها يوم 19 مايو 1956 ، وفي صباح يوم 20 منه نزل في المطار الدولي للقاهرة حيث وجد جماعة كانوا في انتظار وصوله (باسم سي عمار) وهو الاسم المستعار الذي أعطي له⁵⁰.

وبعد إقامته في القاهرة مدة شهر أمرته الجبهة أن يغادرها باتجاه سوريا" فخرج منها يوم 21 يونيو 1956 كمندوب دائم لدى الجبهة فيها⁵¹.

7-آراء بعض مرافقيه :

. الأستاذ محمد الصالح رمضان : " الشيخ محمد الغسيري مناضل ماجد شريف من رجال العروبة والاسلام والوطنية في الجزائر ، نشأ في أحضان الحركة الإصلاحية السلفية التي قادتها (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) برئاسة الإمامين المبرورين : الشيخين ابن باديس والإبراهيمي ، وهو من نجباء تلاميذ ابن باديس بالخصوص ، عمل في ميادين الحركة الإصلاحية التي تربي فيها ، حيث كرس لها الشطر الأكبر من حياته المثالية ، ينشر اللغة العربية ويعرف بالاسلام الصحيح ، والوطنية الحقة بقلمه ولسانه ، لا يألو جهدا في ذلك ولا يبخل بوقته في توعية شعبه ، ودعوته إلى الوحدة والتآلف والتكافل ، مع التمسك بالقيم الخالدة للشعب الجزائري المتمثلة في الاسلام والعربية والجزائر هذا في العهد الاستعماري البغيض الذي حاول المحتل جاهدا طمس تلك المعالم والحقائق الراسخة رسوخ الجبال في الجزائر⁵² .

⁵⁰ - المصدر نفسه.

⁵¹ - المصدر نفسه.

⁵² - مجلة الثقافة ، السنة 8 ، العدد 45، تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر (رجب 1389 هـ- يوليو 1978م)، ص. 105.

. الأستاذ عبد اللطيف صالحى : " كان صارما فى عمله متقنا له، وكان صبورا وفتنا ، كما كان عمليا فى تصرفاته، واقعيا فى حياته، نزيها فى معاملاته واثقا من نفسه ، صارما فى قراراته ، جديا فى سلوكاته ومعاملاته "53 .

8- من أخلاقه :

نظرا لفتنة الغسيري قام بكشف مهمة ذلك الرجل الجاسوس الذى كان فى وقت فرحات عباس واسمه " عميرة" الذى كان يتصف بأبشع الأوصاف ولكنه يتظاهر بالطيبة وحسن الأخلاق والموقف يرويه أحمد توفيق المدني فى كتابه " حياة كفاح" فىقول : وتبين أن الرجل كان مبعوثا بمهمة خاصة ... وكان المقصد من ذلك هو تفكيك الحكومة ، وتفريق الجماعة ، وضرب الثورة ضربة لاقيام لها من بعدها ، دعاه فرحات عباس إلى مكتبه صباحا ليحاسبه على أقواله ، فوق الحادث المريع ، لم أكن يومئذ بالقاهرة بل بتونس ... إنما اقتنعت بما قصه علي أخي الروحي الحميم الأستاذ محمد الغسيري . رحمه الله . وهو عندي ثقة منزه، قال: دخل عميرة إلى مكتب فرحات عباس ، وكنا جماعة عند الباب ننتظر خروجه لندخل وما هي إلا برهة وجيزة حتى سمعنا الأصوات قد ارتفعت وأصبحت خصاما وشجارا ، فاقتربت من الباب وكنت أسمع كل كلمة تقال ، كان عميرة يكرر لعباس مجابهة كل التهم التى قالها عنه وعن الدكتور فرنسيس ، ويستعمل عبارات وقحة سوقية ، فسمعنا عباس يسبه ويشتمه ثم يقوم من فوق كرسيه ويتقدم إليه فيكيل على وجهه صفتين مدويتين ، وعندئذ سمعت جريا نحو أقصى الغرفة نحو النافذة ، وساد السكوت العميق ، ثم فتح الباب فدخلنا ووجدنا فرحات عباس مصفر الوجه ، مكفهر السريرة ، وقال لنا بصوت خافت ... لقد ألقى اللعين بنفسه من النافذة فتوجهت فورا إليها مع من كان معي ورأينا أسفل الطريق " عميرة " قد فارق الحياة "54 .

من هذه الواقعة نتبين لنا يقظة الغسيري . رحمه الله . وكذلك نزاهته فى نقل الموقف مما جعل صاحبه أحمد توفيق المدني يثق فيه كل الثقة.

9. رحلاته :

⁵³ - مقابلة مع السيد عبد اللطيف صالحى ، معلم متقاعد ، قسنطينة، 8 أبريل 2005 .
⁵⁴ - د. أحمد توفيق المدني ، حياة كفاح ج3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص.409.

إن النشاط الجدي والجاد الذي قام به الأستاذ "الغسييري" ، يتطلب رحلات وجولات للاستفادة والإفادة ، حيث إنه كان مرشداً كشفياً بارعاً ، وكما هو معلوم أن الكشافة تقوم بجولات نشطوية هادفة ، فكانت أول رحلة له في هذا المجال باتجاه الشرق الأوسط ، والثانية باتجاه القاهرة ، وتجرى في تلك الرحلات نشاطات متنوعة منها الثقافية والاجتماعية ، والدينية ، والعلمية ، وتدرج هذه الرحلات ضمن العمل من أجل الوحدة العربية والإسلامية لتثمين الروابط والعلاقات بين المجتمعات والأفراد ، حيث يروي "محمود بوزوزو" عن ذلك في مذكراته فيقول : " وتوجهت إلى الشرق على متن حافلتين سياحيتين ، قافلة في عام 1952 ، وأخرى في عام 1953 ، أما الأولى فقد أتاحت لقادة الكشافة الإسلامية وأعضاء اللجان ، أداء فريضة الحج ، أما الثانية فقد توجهت إلى القاهرة إستجابة لدعوة الكشافة المصرية ، وترأسها القائد العام التجيني مرفوقا بالقائدين "ابن محمود" ، و"الغسييري" ، واستقبل الوفد في طريقه من طرف الكشافة الليبية وأثناء إقامته بالقاهرة ، أدى زيارة للرئيس "محمد نجيب" ، ولرئيس الكشافة المصرية ، كما زار الوفد رئيس جمعية العلماء ، الشيخ "البشير الإبراهيمي" الذي كان مقيماً بالقاهرة آنذاك ، وبصفته مرشداً لفيدراليتنا تفضل الشيخ "البشير" على الوفد بمساعدته ونصائحه ، وبقي على إتصال دائم معه بواسطة المرشد الفيدرالي الشيخ محمد الغسييري⁵⁵ كان هذا في مجال الكشافة الإسلامية .

وبما أنه كان مفتش التعليم الحر العربي لمدارس جمعية العلماء المسلمين التي كانت تبعث ببعثات علمية إلى الخارج ، خاصة منها مصر وتونس ، فقام في هذا الإطار برحلات ثقافية وعلمية ، يسهر فيها على الرعاية التامة ، والراحة اللازمة للطلبة الجزائريين هناك ويقوم بتشجيعهم ، وتحميسهم لطلب العلم ، لأن الجزائر بحاجة إلى رؤوس مفكرة وأدمغة مخططة ، فقام في هذا المجال برحلة إلى القطر الشقيق "تونس" ، حيث يقول "علي الجندي" الصحفي التونسي : " لقد تشرفت تونس ... بنايعة من أفاض رجال الحركة العلمية بالقطر الشقيق الجزائري ، وأديب ظريف ، ومفكر إجتماعي ، وداعية للعلم ، ومناهض للجهل ألا وهو الأستاذ "محمد المنصوري الغسييري"⁵⁶ وهدف هذه الرحلة علمي بحث ، حيث قام بتفقد الطلبة

⁵⁵ - د. أبو عمران الشيخ، محمد الجبلي، مصدر سبق ذكره ، ص.90.
⁵⁶ - البصائر ، سلسلة 2 ، سنة 2، العدد 76 الصادر بتاريخ 20 جمادى الثانية 1368 هـ، 18 أبريل 1949 م، ص.7.

الجزائريين ، والإطمئنان على أحوالهم ، وتذكيرهم بمسؤولياتهم اتجاه الجزائر ، كما زار الشيخ الكبار ، والعلماء الأفاضل في تونس " ويواصل علي الجندي تغطيته للحدث فيقول: " وبعد أن اتصل بالطلبة الجزائريين ، وتعرف إلى أحوالهم ، اتجه إلى فضيلة شيخ الجامعة الزيتونة الإمام " الطاهر بن عاشور...كما زار العلامة الشيخ " محمد الفاضل " ... ولم يتخلف ضيف تونس عن زيارة رجال الصحافة التونسية ، الذي كان محل التقدير والاعتبار " ⁵⁷ وكانت هذه الرحلة سنة 1949 .

وكما أسلفنا الذكر أن الرحلة الكشفية الثانية كانت بدعوة من الكشافة الإسلامية المصرية " للمشاركة في احتفالات الذكرى الأولى لثورة 1952 وكانت بداية الرحلة في 21 جويلية 1953 انطلاقاً من قسنطينة ليلاً في اتجاه القاهرة " ⁵⁸ كما صادفت أيضاً موسم الحج ، فاستغل الشيخ "الغسيبي" هذه الفرصة واتجه إلى السعودية لأداء فريضة الحج ، واتسعت لتشمل سوريا ولبنان ، فجمع ملاحظاته وانطباعاته ، وكتبها ضمن مقالات حملها مشاعره ، ومواقفه بعد عودته من رحلته ونشرها في جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين ، تحت عنوان رئيس عام هو " عدت من الشرق " ، وكان هذا العنوان متبوعاً بعناوين فرعية للحلقات التسع عشرة **** متبوعة بدورها . في بعض الحلقات . بعناوين أخرى جزئية ، وكانت عناوين الحلقات كالاتي : عنوان الحلقة الأولى (في طرابلس الغرب) ، وفي الثانية (في كنانة الله مصر) ، وفي الثالثة (في مصر كنانة الله) وفي الرابعة (مظاهر التدين في مصر) ، وفي الخامسة (الجزائريون في مصر) وابتداء من الحلقة السادسة ، وانتهاءً بالحلقة الثامنة عشرة ، كان العنوان الفرعي الدائم هو (في البلاد العربية السعودية) أضيف تحته عنوان جزئي في الحلقة السابعة عشرة وهو (الشباب الإسلامي في الجزائر) وأضيف عنوان فرعي آخر في الحلقة الثامنة عشرة نصه (في المدينة المنورة) ، وكان العنوان الفرعي للحلقة التاسعة عشرة (في سوريا ولبنان) ، وينتهي حلقاته هذه بخاتمة تحدث فيها عن العودة إلى (مصر) ثم إلى (الجزائر) عبر (ليبيا) و (تونس) .

⁵⁷ - المصدر نفسه.

⁵⁸ - د. عمر بن قينة، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر العاصمة، ص. 156. **** - ترقيم الحلقات في البصائر بدأ بالحلقة رقم (1) وأنهى بالحلقة التي أعطيت رقم (20) بينما عدد الحلقات تسع عشرة لأكثر، ففي تتبعنا لذلك عثرنا على سهو في الترقيم حيث سها قسم التحرير على رقم (15) من الحلقات فلم يكن له وجود أصلاً، حيث تبعت الحلقة (16) التي نشرت في العدد 268 الحلقة (14) التي نشرت في العدد 267، فعدد الحلقات واقعا إذن تسع عشرة حلقة، وإن رأينا الترقيم في الجريدة ينتهي بحلقة تحمل رقم (20).

10- وفاته:

عاد "محمد المنصوري الغسيري" إل الجزائر ناويا أن يستقر فيها بجوار أهله وأصدقائه، وقد ظل بعيدا عنهم "طيلة ثماني عشرة سنة" ⁵⁹، إلا أن القدر قد عاجله بما يخفيه في طياته، "فختم حياته بإنفجار دموي وقع له فجأة، وحمل إلى مستشفى قسنطينة، وفيه أسلم الروح إلى بارئها في يوم 24 يوليو 1974" ⁶⁰ رحمه الله وأسكنه فسيح جناته .

11-آثاره الكتابية :

من آثاره الكتابية عدة مقالات متعددة المواضيع نشرها في بعض الصحف والمجلات خاصة منها جريدة البصائر ، فضلا عن أنه كان من أبرز خطباء عصره، إلا أنه للأسف لم نعثر إلا على القليل من خطبه وله كذلك مذكرات عن أستاذه "ابن باديس" ما تزال مخطوطة لم تطبع بعد ، وسلسلة من الحلقات عن رحلته إلى مصر والحجاز والشام نشرت في جريدة البصائر تحت عنوان " عدت من الشرق" ، وهي موضوع دراستنا في هذا البحث .

⁵⁹ - محمد الحسن فضلاء، مصدر سبق ذكره، ص.285.

⁶⁰ - المصدر نفسه.